



طمأنة المظلومين في ضوء القرآن الكريم

Reassuring the oppressed in light of the Holy Qur'an

د. شيرين بنت كاظم بن سراج بنون

جامعة أم القرى، المملكة العربية، السعودية

skbnoon@uqu.edu.sa

تاريخ القبول: 2024/04/28

تاريخ الإرسال: 2024/03/17

ملخص

فكرة البحث: مواساة للمستضعفين المؤمنين ومداوة لجراحهم وتسكيناً لنفوسهم وبيان فعل القرآن لهذا الأمر وأساليبه في حصوله، وبيان أسباب رفع الظلم عنهم، وهنا تكمن أهمية البحث في مواكبته للأحداث والحروب الحالية، ومواساة إخواني المسلمين المظلومين في شتى بقاع الأرض، وبيان سماحة الدين ويسره في تخفيفاته، وإقامة واجب النصرة للمظلومين بدعمهم نفسياً وعلمياً. وقد عالج البحث إشكالية: انهزام نفسيات المظلومين وذلك بدعمها وطمأنتها، وقد هدفت فيه إلى طمأنة المظلومين، وبيان سماحة الإسلام في تخفيف تشريعاته عنهم، وبيان أساليب القرآن في الطمأنة، وبيان الأعمال التي يعملها المظلومين بعد النصر. وقد نهجت فيه المنهج الاستقرائي الوصفي، وأجبت عن بعض الأسئلة منها: من ينصرنا؟ كيف يرتفع الظلم عنا؟ ما الأحكام المخففة عن المظلومين؟ ثم اختتمت بنتائج منها: ذكر أساليب القرآن في طمأنة المظلومين، وبيان الأعمال التي ترفع الظلم عنهم، والأحكام المخففة عنهم. وأوصيت: المسلمين بنصرة بعضهم كل بحسب استطاعته وما يجب عليه.

- الكلمات المفتاحية: (طمأنة، مظلوم، احكام، شرعية، أسباب)

Abstract

The idea of the research: consoling the oppressed among the believers, healing their wounds, and soothing their souls, explaining the Qur'an's action in this matter and its methods for bringing about this matter, and explaining the reasons for removing injustice from them. Here lies the importance of the research in keeping pace with current events and wars, consoling my oppressed Muslim brothers in various parts of the earth, demonstrating the tolerance of religion and its ease in mitigating it, and establishing the duty of supporting the oppressed by supporting them psychologically. In it, I aimed to reassure the oppressed, explain the tolerance of Islam in easing its legislation for them, explain the methods of the Qur'an in reassuring them, and explain the actions that the oppressed do after victory. I used the descriptive inductive approach. I answered some questions, including: Who will support us? How does injustice rise against us? What are the lenient sentences for the oppressed? Then it concluded with

results including: mentioning the methods of the Qur'an in reassuring the oppressed, and explaining the actions that remove injustice from them, and the provisions that are lightened for them. I advised Muslims to support each other according to their ability Each according to what is obligatory upon him.

Keywords: Reassurance, oppressed, rulings, legitimacy, reasons

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين نبينا محمد.

أما بعد:

فإن شريعتنا الإسلامية شريعة سمحة تناسب جميع الناس على مختلف أوضاعهم ومستوياتهم فراغت المريض والمسافر وأصحاب الأعداء الشرعية بالرخص ورخصت لهم في بعض الأمور ما لم ترخص لغيرهم من الناس. بل وكان لبعض الأحوال عبادات على هيئات مخصوصة كصلاة الخوف للمجاهدين في أرض المعركة.

فخففت الشريعة عن بعض الناس ورحمت حالهم وخوفهم، وطمأنتهم، وقد جئت ببحثي هذا على هذا المنوال في طمأنتهم وعنونه بـ: طمأنة المظلومين في ضوء القرآن الكريم

أهمية الدراسة:

- 1- مواساة إخواني المسلمين المظلومين في شتى بقاع الأرض.
- 2- الاحتياج الحالي في بلاد المسلمين لموضوع البحث بسبب الحروب النازلة عليهم.
- 3- بيان سماحة الدين ويسره في تخفيفاته.
- 4- إقامة واجب النصر للمظلومين بدعمهم نفسيا وعلميا.

إشكالية البحث:

يعالج البحث الوضع الحالي من انهماك نفسيات بعض المظلومين في الحروب الطاحنة الحاصلة على المسلمين، وذلك بدعمهم نفسياً بطمأننتهم وبيان تخفيف التكاليف الشرعية عن مناصريهم.

أسئلة البحث:

يجيب البحث عن هذه الأسئلة:

س: من ينصرنا؟

س: ماذا نعمل ليرتفع الظلم عنا؟

س: ماهي الأحكام التي خُففت عن المظلومين أو من يدافع عنهم؟

أهداف البحث:

1- طمأننة قلوب المظلومين.

2- بيان الأحكام الشرعية التي خُففت عن المظلومين في القرآن العظيم.

3- بيان سماحة الإسلام في تشريعاته وتكليفاته ومراعاته للأحوال.

4- بيان أساليب القرآن في الطمأننة .

5- بيان الأعمال الرافعة للظلم المتسببة في النصر.

منهج البحث:

-المنهج الاستقرائي الاستنباطي بتتبع الآيات التي تطمئن قلوب المظلومين.

-المنهج الوصفي في وصف نوع التشريع التكليفي.

وكانت كتابتي في البحث على النحو التالي:

أ) كتابة الآيات بالرسم العثماني.

ب) نقل أقوال المفسرين تعليقاً على بعض الآيات.

ج) خرجتُ الأحاديث -إن وردت- من الصحيحين، فإن لم أجدهما فيها فمن

كتب السنة الأربعة أو أحدها مع نقل الحكم عليها.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة سابقة في طمأننة المظلومين
سوى أبحاث عامة في الطمأنينة وهي:

1- الطمأنينة في القرآن الكريم.

وهو بحث منشور في مجلة جامعة جازان، في العدد الأول عام 1442هـ للدكتور:
حسن بن علي الشهراني، ولم أطلع عليه.

2- السكينة والطمأنينة في القرآن الكريم، دراسة دلالية، لصالح الدين سليم
محمد، وهو بحث منشور على الشبكة العنكبوتية يهدف إلى تحديد دلالة المفردتين من
خلال سياق الآية.

3- طمأنينة الإنسان في ضوء آي القرآن الكريم

وهو بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، من دولة
السودان، في العدد الثامن عشر، في عام 1436هـ، للدكتور: بكري محمد، بين فيه معنى
الطمأنينة. وذكر فيه أسباب الطمأنينة.

4- علاقة الطمأنينة الانفعالية بالرضا عن الحياة والشعور بالسعادة النفسية لدى
الطالبات وقد بُحث نفسياً.

ما يضيفه البحث:

1- بحثي هو عن طمأننة المظلومين وليس عن الطمأنينة.

2- يبين البحث الأعمال التي تزيل الظلم عن المظلومين.

3- بيان الأساليب التي سلكها القرآن في طمأننة المظلومين.

4- بيان التكاليف التي حُفِّفت عن المظلومين أو من يدافع عنهم.

والبحث جديد في موضوعه.

خطة البحث: يحتوي البحث على مقدمة، ومبحثين

المقدمة فيها: أسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة،
ومشكلة البحث وتساؤلاته وحدوده، وخطة البحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: طمأننة المظلومين في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف طمأننة المظلوم.

المطلب الثاني: أساليب طمأنة القرآن للمظلومين أو من يدافع عنهم-
المجاهدين-

المطلب الثالث: الأعمال الموصلة إلى النصر ورفع الظلم.

المبحث الثاني: التشريعات المطمئنة للمظلومين وفيه مطلبين:

المطلب الأول: التخفيف في الأحكام الشرعية عن المظلومين أو من يدافع عنهم

المطلب الثاني: الأعمال التي يفعلها المظلومون بعد النصر

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات ثم فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: طمأنة المظلومين في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف طمأنة المظلوم

تعريف الظلم:

"هو ضرر لا يستحق ولا يعقب عوضاً سواء كان من سلطان أو غيره. والفرق بين الظلم والجور:

الجور خلاف الاستقامة في الحكم، وفي السيرة السلطانية تقول: جار الحاكم في حكمه والسلطان في سيرته إذا فارق الاستقامة في ذلك

فإن أخذ -شيء- على وجه القهر أو الميل سمي جوراً.

وأصل الظلم نقصان الحق وأما أصل الجور فهو العدول عن الحق"⁽¹⁾.

فالْمَظْلُوم على ذلك هو الذي يقع عليه عقوبة غير مستحقة أو نقصان حق، وكل ذلك من غير عوض.

تعريف الطمأنة:

طمأنه، أدخل إلى نفسه السكينة.⁽²⁾

(1) ينظر: العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل. "الفروق اللغوية". حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، بدون ت. ط)، ص(231).

وتطمين المظلوم أي إدخال السكينة على قلب الذي سلب حقه أو نُقص فيه أو وقعت عليه عقوبة وكل ذلك دون عوض.

المطلب الثاني: أساليب طمأنة المظلومين

1- تعريفهم بوعد الله و أن النصر من عنده، وتبشيرهم به.

من أساليب القرآن في طمأنة المؤمنين زرع الثقة في نفوسهم بالله وأنه لا نصر إلا من الله فلا ينهزموا ويستئسوا. قال جل جلاله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 10]

تأمل قول الله جل وعلا: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: 10] فجعل الله تبشيرهم بإمدادهم بالملائكة لطمأنة قلوب المؤمنين، فطمأنة قلوب المجاهدين مقصد أراد الله عز وجل.

ثم بين أن النصر لا يكون إلا من عند الله، فالأسباب للنصر ليست إلا مجرد أسباب وإنما النصر الحقيقي هو من عند الله.

فعلى المؤمنين أن لا يطلبون نصراً إلا من الله فقط ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرُّكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: 160]

كما أن عليهم أن لا تنهزم نفسياتهم من قلة فها هم كان عددهم في غزوة بدر ثلاثمائة، بينما كان عدد الكافرين ألفاً، ورغم قلة عددهم نصرهم الله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123]

كما عليهم أن لا يغتروا بكثرة فيوم حنين أعجبتهم كثرتهم وكادوا أن ينهزموا. قال جل جلاله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

(2) د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. "معجم اللغة العربية المعاصرة". (عالم الكتب، 1429 هـ - 2008 م)، ط1، ج:2، ص: 1413، 1416.

أَعَجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تَعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحَبْتَ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿[التوبة: 25]

غير أن الله لطف بهم ورحمهم فأنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنود لم يروها المؤمنين وعذب الكافرين جزاء كفرهم، وبين ذلك في كتابه فقال جل جلاله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 26]

2- ومن أساليب القرآن في طمأنة المظلومين: بيان مصيرهم الموعود بأنه سيمكن لهم في الأرض ويرثها لهم ويجعلهم أئمة. قال عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5]

"يعني: أردنا أن نمن بالنجاة على الذين استضعفوا في الأرض وهم بنو إسرائيل، (نمن) يعني: ننعم عليهم (ونجعلهم أئمة) يعني: قادة في الخير (ونجعلهم الوارثين) يعني: أرض مصر، وملك فرعون، وقومه بعد هلاك فرعون". (1)

فمَكَّنَ للمستضعفين في الأرض جزاء صبرهم ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: 137]

3- تذكيرهم بما كانوا عليه من استضعاف ومنته عليهم بنصره فكل ذلك مما يزيد إيمانهم وثقتهم به. ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26]

السمرقندي، نصر بن محمد. "بحر العلوم". (بيروت: دار الفكر) ج2، ص 598 (1)

أي: اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلا في العدد مقهورون في أرض مكة تخافون أن يختلسكم الناس ويذهب بكم أهل فارس والروم، فأواكم بالمدينة، وقواكم وأعانكم، "بنصره" يوم بدر، ورزقكم من الحلال وهي الغنيمة لتشكروا الله⁽¹⁾

4- كذلك من أساليب القرآن في الطمأنينة: تذكيرهم بأن الله كافيههم. ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 62]

أي: إن يريد الكفار أن يظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم السلم ويبطنوا الخيانة، فاجنح أيها النبي لها وما عليك من نياتهم الفاسدة، فإن الله كافيك ومعطيك نصره وإظهارا، وهذا وعد محض...⁽²⁾

5- كذلك من طرق القرآن في الطمأنينة: بيان جبن العدو وبيان طبيعة علاقة أعدائهم ببعض البعض لئلا يفجع المؤمنين بما ظاهره الاتحاد والتكاتف

قال جل وعلا: ﴿لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُصْرُوتُ﴾ [آل عمران: 111]

"يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى باللسان يعني وعيدا وطعنا. وقيل: دعاء إلى الضلالة. وقيل: كلمة الكفر إن يسمعوها منهم يتأذوا بها وإن يُقاتلوكم يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ مِنْهُمْ" ⁽³⁾

فذكر في هذه الآية توليهم مدبرين، وبين في آية أخرى شدة خوفهم حتى أنهم يخشون المؤمنين أشد من خشيتهم من الله، فقال جل جلاله: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13]

ينظر: السمرقندي، نصر بن محمد. "بحر العلوم". ج2، ص16. (1)

(2) ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ت. ط1422هـ)، ج2، ص548.

(1) الثعلبي، أحمد بن محمد. "الكشف والبيان عن تفسير القرآن". (لبنان: إحياء التراث، ط1، ت. ط1422هـ)، ج3، ص129.

وَيَبِّينُ فِي آيَةٍ أُخْرَى شِدَّةَ جَنَهِمَ فَهَمَ لَا يِقَاتِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ. ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي فُرَى مُخَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]

﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: "أي عداوتهم فيما بينهم شديدة" (1).

تأمل كيف طمأنهم بحال علاقة عدوهم مع بعضهم البعض فينب أن فقلوبهم متفرقة وإن كانوا في الظاهر متحدين، وهذا بلا شك يدخل الاطمئنان على قلوب المؤمنين المجاهدين الذين يقاتلون عن المستضعفين.

لذا على المؤمنين أن لا يخافون من قوة اليهود فهم جناء وإذا أحس العدو بضعف المؤمنين فسيزيدونهم استضعافا.

كل جبان شجاع الفؤاد عليك، إذا أنت مستسلم (2)

7- ومن أساليب الطمأنة: جبر خواطر المظلومين بتذكيرهم بعاقبتهم وعاقبة عدوهم الدنيوية والأخروية، وضرب الأمثلة بالأمم السابقة وكيف نصر المؤمنين وهزم الكافرين.

فعندما يتذكر المظلوم عاقبة الظالم الدنيوية والأخروية فإنه ينجر قلبه المكروم وتبرد حرارة حرقته بتربح حلول العاقبة

وعندما ينظر ويتأمل كيف كان عاقبة الظالمين في الأمم السابقة يزداد يقينه بالله فتضمّد جراحه بهذه الآيات، فمرة يتأمل كيف أهلك الظالمين من قوم شعيب بالصيحة فيبرد قلبه ويهدأ أنيه. ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ

(2) ابن كثير، إسماعيل بن كثير. "تفسير القرآن العظيم". (بيروت: العلمية، ط1، ت. ط1419هـ)، ج8، ص104.

(2) البيت للبردوني من قصيدة نحن والحاكمون، من موقعه على الشبكة العنكبوتية.

<https://www.albaradouni.com/112>

ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩٤﴾ [هود: 94]

وليتجول بفكره كيف أغرق قوم نوح...

فقد "رؤي عن ابن عباس أنه أمطرت السماء أربعين يوماً وخرج ماء الأرض أربعين يوماً الليل والنهار فذلك قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَهِّرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: 11 - 12] وارتفع الماء على كل جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً، وروي عن الحسن أنه قال: ارتفع الماء فوق كل جبل وكل شيء ثلاثين ذراعاً وسارت بهم السفينة فطافت بهم الأرض كلها في خمسة أشهر ما استقرت على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً ورفع البيت الذي بناه آدم إلى السماء السادسة وهو البيت المعمور وجعل الحجر الأسود على أبي قبيس ويقال أودع فيه ثم ذهبت السفينة في الأرض حتى انتهت بهم إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه بعد خمسة أشهر⁽¹⁾

وليتأمل المظلوم كيف قلب على قوم لوط قريتهم وأرسل عليهم بطير من سجيل...⁽²⁾

ثم فليتفت المظلوم في حاله وآلامه وأحزانه وجراحه وأوجاعه ولينظر إلى أوجاع خصمه أليس خصمه يتوجع كما يتوجع هو؟! أليس قد مسه البلاء كما مسه هو؟! غير أن عاقبة الفريقين مختلفة وهذا مما يواسي لمظلوم في محتته ويضمده به جراحه فقتلى المسلمين في الجنة وقتلى الكفار في النار

وليتذكر المظلوم يوم أحد الذي قُتل فيه سبعون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقُتل فيه حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثّل به وعُقر بطنه، في نفس

نصر بن محمد. "بحر العلوم". ج 2، ص 152. السمرقندي، (1)

(2) ينظر: البلخي، مقاتل بن سليمان. "تفسير مقاتل بن سليمان". (بيروت: إحياء التراث، ط 1، ت. ط 1423هـ)، ج 2، ص 415، وابن عطية، عبد الحق بن غالب. "المحرر الوجيز". ج 3، ص 370.

ذلك اليوم المحزن المجمع. وكان مما أنزل الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٩] **إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** [١٤٠] **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** [١٤١] **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** ﴿[آل عمران: 139-142]

تأمل أيها المظلوم الآيات لتضمّد جراحك ويسكن فؤادك فالله لا يريد لك الحزن ولا الهوان حتى ولو وقعت الهزيمة فهو يرفع أثرها عن قلبك بقوله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [آل عمران: 140]

فإنما هذه جولة من الجولات وليست هي النهاية وليصطفي منكم شهداء فاصبروا واحتسبوا واثبتوا ولا تحزنوا ولا تنهوا، فأنتم الأعلون وإن عاقبة الظلمة المجرمين مخزية وقد بشرهم القرآن بهذه العاقبة الأليمة فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلُوبٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ أَلَمٌ هَٰذَا ﴾ ﴿١٣﴾ [آل عمران: 12]

بل لم يكتفِ بذلك فالقرآن مليء بعاقبة المجرمين الظالمين الذي عذبوا المؤمنين، فانظر كيف فعل بآل فرعون الذين كانوا يقتلون بني إسرائيل ويستحيون نساءهم ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [الأعراف: 130]

لكنهم ظلوا في غيهم فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع آيات لعلهم يعقلون لكنهم استكبروا، قال الله عنهم: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]

ونكثوا عهدهم مع موسى وقالوا له لئن كشفت هذا العذاب عنا لنطلقن معك بني إسرائيل، لكن بعد أن كشف الله عنهم العذاب خانوا وغدروا

فعاقبهم الله عقاباً شديداً بالغرق ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذِبُؤُا بِأَيَّتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 136]

كما بين عاقبة الأعداء فطمئن بذلك قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]

ف" هذه تسليية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس، فقد كُذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أمهم من الدلالات الواضحات، ولكن انتقم الله ممن كذبهم..."⁽¹⁾

والقرآن مليء بذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم وكيف كان عاقبة الظالمين.

فالقرآن الكريم يطيب فؤادك أيها المظلوم بأن هذا الابتلاء هو حال كل الأمم ورسلاها حتى إنهم كانوا يجأروا من شدة البلاء ويقولوا متى نصر الله، فيصبر الله المظلومين بأن النصر قريب. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214]

9- من أساليب الطمأنة: النهي عن الركون للظالمين، وكذلك ضرب الأمثلة بالأنبياء في معاملتهم لأقوامهم المظلومين.

نبي الله نوح عليه السلام أبى طرد المؤمنين الفقراء لأجل الأغنياء وخاف من عقاب الله قال الله حاكياً عنه.

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَى كُفْرًا قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [١٩]

(1) ابن كثير، إسماعيل بن كثير. "تفسير القرآن العظيم". ج 6، ص 289.

وَيَقْوَمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ [هود: 29-30]

وقال في نهي المؤمنين ألا يركنوا للظالمين:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ [هود: 113]

المطلب الثالث: الأعمال الموصلة إلى النصر ورفع الظلم

1- الدعاء

الدعاء سلاح عظيم جداً للمؤمن ويغير مجرى الأحداث بل حتى الكفار يستجيب الله لهم عند اضطرابهم، فكيف بعبده الموحد؟!

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [النمل: 62]

فكيف إذا كان الداعي مظلوماً ومؤمناً، ومضطرباً، ولا ناصرًا ينصره إلا الله أفيظن المظلوم أن الله خاذله؟!

كلا وربي فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ" (1)

وفي قصة السحرة مع فرعون عبرة حين طغى وتجبر وأمعن في الطغيان لأنهم آمنوا بالديان، فقاموا الكفر بالعصيان وامتنال أمر الرحمن وقالوا: ﴿وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: 126]

فُتِل السحرة وهم على الملة السليمة لكننا جميعاً نعلم عاقبة فرعون الأليمة. (2)

(1) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، برقم 3178. قال عنه الألباني في السراج المنير (1057/2) برقم 6623: صحيح.

(2) ينظر: البلخي، مقاتل بن سليمان. "تفسير مقاتل". ج 2، ص 55.

وفي قصة جالوت لما خرج له المؤمنون يقاتلون توجهاوا لله بالدعاء قائلين ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]

فاستجاب الله لهم وجازاهم على صبرهم وثباتهم وكانت النتيجة ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]⁽¹⁾

2-الهجرة. قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفَالِغَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْلَمَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: 97-99]

قال القرطبي رحمه الله: " المراد بها جماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا وأظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم الإيذان به، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا، فلما كان أمر بدر خرج منهم قوم مع الكفار، فنزلت الآية. وقيل: إنهم لما استحقروا عدد المسلمين دخلهم شك في دينهم فارتدوا فقتلوا على الردة، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا على الخروج فاستغفروا لهم، فنزلت الآية. والأول أصح. روى البخاري عن محمد بن عبد الرحمن قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع

(1) ينظر: البلخي، مقاتل بن سليمان. "تفسير مقاتل". ج 1، ص 210، و السمرقندي، نصر بن محمد. "تفسير السمرقندي". ج 1، ص 191.

المشركين يكثر سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فأنزل الله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم).⁽¹⁾

"أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم" إلى قوله: "وساءت مصيرا" قال: كانوا قوما من المسلمين بمكة فخرجوا مع قومهم من المشركين في قتال فقتلوا معهم فنزلت هذه الآية. "إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان"

فعذر الله أهل العذر منهم وهلك من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكنت أنا وأمي ممن كان له عذر. "لا يستطيعون حيلة" حيلة أي: قوة، وقيل: أي لا يستطيعون نهوضا إلى المدينة. "ولا يهتدون سبيلا" طريقا إلى المدينة⁽²⁾ بتصرف.

وأثنى الله على المهاجرين في سبيله في مواضع عديدة ورتب على الهجرة تولد إخوانهم المؤمنين لهم وأوجب عليهم نصرتهم، بينما أسقط ولاية المؤمنين عن المؤمنين الذين لم يهاجروا فهم قد رضوا على أنفسهم أن يبقوا في دار الشرك. قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾ [الأنفال: 72]

(1) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. "الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م)، ط2، ج:5، ص:345.

(2) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال. "الدر المنثور في التفسير بالمأثور". (بيروت: دار الفكر 1993)، بدون ط، ج:2، ص:649.

وقال في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74]

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فكان صلى الله عليه وسلم أشجع الخلق ومع هذا أمره الله بالهجرة فهاجر من مكة ثم عاد فاتحا بعد سنوات من هجرته، وعانى في هجرته ما عانى حتى إنه مكث في الغار ثلاثة أيام لثلا يراه مشركي قريش ، وكانوا يلاحقونه حتى وصلوا إلى فوهة الغار حتى إن أحدهم لو أبصر إلى قدمه لرآهم ، لكن الله نجاه منهم وأنزل سكينته عليه. ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40]

فالهجرة واجبة على المستضعفين القادرين على الهجرة وليست جبناً وخوراً إنما هي تمهيداً وبداية لنصر مؤزر، والله لن يضيع أجر الصابرين.

فها هم الصحابة لما كانوا مستضعفين بمكة أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأنه كان بها ملكٌ عادل، ثم كانت الهجرة الثانية إلى المدينة، ثم أذن الله لهم بالجهاد بعد أن انتقلوا للمدينة وصارت لهم دولة إلى أن فتح الله لهم مكة فكان التمكين المؤزر ودخل الناس في دين الله أفواجا.

3- التفويض لله وحسن التوكل عليه

من أسباب النصر التوكل على الله واليقين به وتفويض الأمور إليه

ولنا في ذلك إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة لما قال قومه ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 68]

قيل: الذي قال ذلك وأمر بإحراقه بالنار: النمرود، وقيل: قيل الذي أشار بهذا الرأي هو رجل كردي اسمه (هينون)، والذي أمر بالإحراق (نمرود)، والأمر في قولهم (حرقوه) مستعمل في المشاورة.

والظاهر أن هذه المشورة كانت مؤامرة سرية فيما بينهم دون حضرة إبراهيم عليه السلام وأردوا أن يبعثوه لئلا يهرب بدليل قوله جل جلاله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: 70] فجعل ذلك كيداً. (1) لكن إبراهيم عليه السلام كان قوي الإيمان لما وضعوه في فوة المنجنيق وقذفوه إلى النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، لم يتسخط لم يقنط لم يستئس بل فوض أمره لله فجعل الله عليه النار برداً وسلاماً ﴿قُلْنَا يَكَانَرُكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ [الأنبياء: 69] وتأمل تفويض موسى عليه السلام إلى ربه لما لحقه فرعون وقومه، فصار البحر من أمامهم والعدو من خلفهم حتى قال قوم موسى: إنا لمدركون.

لكن موسى عليه السلام قال كلمة الواثق بالله والمستيقن بنصره ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62]

فلم يخذله الله فأوحى إليه أن اضرب بعصاك البحر ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63]

فنجى الله موسى وقومه وأهلك فرعون وملأه، "قال أهل التفسير: اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف وهم اثنان وسبعون، وخرجوا مع موسى من مصر وهم ستمائة ألف، وذلك أنه لما أجاب الله دعاء موسى وهارون أمرهما بالخروج ببني إسرائيل من مصر فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والمخرج البحر أمامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وكشف الله عن وجه الأرض، وألبس لهم البحر، فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم، وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان، وكان مقدمهم جبريل وكان

(1) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "التحرير والتنوير المسمى تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد". (تونس: الدار التونسية، 1984 هـ) بدون ط، ج: 17، ص

على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشد منهم أحد ، فلما خرج آخر بني إسرائيل من البحر، دنا جبريل بفرسه ، فلما وجد الحصان ريح الأنثى لم يملك فرعون من أمره شيئاً فنزل البحر وتبعه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعاً في البحر ، وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم، فلما أدرك فرعون الغرق أتى بكلمة الإخلاص ظناً منه أنها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى : (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) قال ابن عباس -رضي الله عنهما - : لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به ، وقد كان في مهل " ا.هـ بتصرف يسير⁽¹⁾

4-الجهاد في سبيل الله

مما يرفع الظلم عن المظلومين الجهاد في سبيل الله، لكن الجهاد لم يفرض طوال العشر سنوات في العهد المكي، وكان المؤمنون مأمورين بالعفو والصفح، إلى أن أذن الله لهم بالهجرة فلما خرج بعضهم ليهاجر في سبيل الله تبعهم كفار قريش فأذن الله لهم في قتال الكفار وأنزل: ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾ [الحج: 39]⁽²⁾

وقد خاطب الله المؤمنين الأقوياء الذين يستطيعون رفع الظلم عن المظلومين فقال لهم: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥ ﴾ [النساء: 75]

أي ما شأنكم ما خطبكم لماذا لا تقاتلون في سبيل الله وعن المستضعفين من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان الذين يدعون ربهم قائلين أخرجنا ربنا من

(1) الخازن، علاء الدين علي بن محمد. "تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل".

(بيروت: دار الفكر، 1399 هـ/ 1979 م)، بدون ط، ج: 3، ص: 206

(2) ينظر: المكي، مجاهد بن جبر. "تفسير مجاهد". المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل،

(مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، 1410 هـ - 1989 م)، ط 1، ص: 482. و ينظر: الطبري،

محمد بن جبر. "جامع البيان في تفسير القرآن للطبري". المحقق: مكتب التحقيق بدار هجر، (دار

هجر: بدون ت.ط)، ط 1، ج: 16، ص: 575.

هذه القرية التي ظلمنا فيها أهلها، -وتعني في هذا الموضع: مكة - واجعل لنا يا رب من لدنك وليا يلي أمرنا بالكفاية من فتنة الكفار واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا على من ظلمنا.⁽¹⁾

وللجهاد أحكامه الخاصة به وتقسيماته في مواطنها الميينة في كتب الفقه وإنما أردت هنا بيان أنه سبب من أسباب رفع الظلم على من يجب في حقه الجهاد.

5- نصره الله: ونصرة الله داخله في الفقرة السابقة فما يرفع الله به الظلم عن الإنسان المظلوم أن ينصر المظلوم ربه فينصر دينه ويعل كلمته ويدافع عن دينه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فإن الله ناصره على أعدائه ومظفره بهم.⁽²⁾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:7]

فانصر أيها المظلوم ربك رب العالمين بنشر دينه والدفاع عن كتابه والدعوة إلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والذب عنها

انصروه في أنفسكم واتركوا المعاصي، فما كانت الهزيمة في غزوة أحد إلا بسبب المعصية ومخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

انصروه في أهليكم فربوهم على التقوى والصلاح، انصروه في عقيدتكم فوالوا الله وعادوا الله

انصروه برفع راية لا إله إلا الله في نفسك وأهلك ووطنك وعلى أرض الله.

6-التقوى والصبر

تأمل الآيات الدالة على ذلك:

﴿إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120]

(1) ينظر: الطبري، محمد بن جرير . "جامع البيان"، ج:7، ص:225.

(3) ينظر: الطبري، محمد بن جرير . "جامع البيان"، ج:21، ص:193

فالتقوى والصبر سبب للكفاية والحماية من كيد الأعداء.

كما أن التقوى والصبر سبب في الإمداد من الله.

﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125]

والصبر والتقوى من الأمور التي يتنافس فيها ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]

المبحث الثاني: التشريعات المطمئنة للمظلومين

المطلب الأول: التخفيف في الأحكام الشرعية عن المظلومين أو من يدافع عنهم

1- خفف الله عن المجاهدين في سبيله في العدد الذي يلزم كل شخص.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال " كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفر منهم، فكانوا كذلك حتى أنزل الله: ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ قِائَةٌ صَابِرَةٌ يَعْلَبُوا مَائَتِينَ﴾ [الأنفال: 66] فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين، فنسخ الأمر الأول⁽¹⁾.

2- خفف الله عنهم في صلاة الجماعة -وهذا مما يعينهم على الدفاع عن المظلومين- فشرع لهم صلاة الخوف.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَٰلَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ

(1) الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان"، ج: 11، ص: 263.

مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ^ط وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ [النساء: 102]

3- خفف عنهم ترك الجهر بالسوء من القول. قال جل جلاله: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ ﴿١٤٨﴾ [النساء: 148]

عن ابن عباس رضي الله عنه في الآية: "لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾... و عن مجاهد رحم الله في هذه الآية: ضاف رجل رجلا فلم يؤد إليه حق ضيافته فلما خرج أخبر الناس فقال: ضفت فلانا فلم يؤد إلي حق ضيافتي قال فذلك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم حتى يؤدي الآخر إليه حق ضيافته" (1).

4- أباح لهم رد الظلم بمثله. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾ [الشورى: 41]

قال القرطبي رحم الله: "لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، ويقتضي ذلك: إباحة الانتصار لا الأمر به، وقد عقبه بقوله: "ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور" وهو محمول على الغفران عن غير المصر، فأما المصر على البغي والظلم فالأفضل الانتصار منه، بدلالة الآية التي قبلها" (2).

المطلب الثاني: الأعمال التي يفعلها المظلومين بعد النصر:

إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١٠﴾ [الحج: 41]

(1) ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن كثير. "تفسير ابن كثير"، ج2، ص 392.

(2) القرطبي، محمد بن أحمد. "تفسير القرطبي"، ج: 16، ص: 39.

-التسبيح بحمد الله. قال جل وعلا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ
﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: 1+3]

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: "فسبح ربك وعظمه بحمده وشكره، على ما
أنجز لك من وعده. فإنك حينئذ لاحق به، وذائق ما ذاق من قبلك من رسله من
الموت." (1).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد
وعلى آله والتابعين

أما بعد، فالحمد الذي وفقني على تمام هذا البحث الموسوم بـ "طمأنة المظلومين
في ضوء القرآن الكريم". وأسأله جل جلاله القبول، فقد جعلته مواساة للمظلومين
وجبراً لقلوبهم ومداويًا لأحزانهم

ومن أهم ما نتجت به من هذا لبحث ما يلي:

1- بيان الأساليب التي سلكها القرآن لطمأنة المظلومين ومنها: بيان مصيرهم
الموعودين به في الدنيا والآخرة، وزرع الثقة في نفوسهم بالله وتذكيرهم كيف كانوا في
الماضي من استضعاف وكيف امتن عليهم بالنصر، وتذكيرهم بأن الله كافيههم،
وتبشيرهم بالنصر وبيان ضعف أعدائهم وجبنهم وتفرق عدوهم واختلافهم،
وضرب الأمثال بقصص المظلومين من السابقين وعاقبتهم وعقوبة ظالمهم..

3- بيان الأعمال الموصلة إلى النصر ورفع الظلم وهي: الدعاء، والهجرة، والجهاد
في سبيل الله، والتفويض لله، والتقوى والصبر

(1) الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان"، ج: 24، ص: 707.

4- بيان الأحكام الشرعية التي خففت عن المظلومين أو من يدافع عنهم، وذلك حين خفف عن المجاهدين في كيفية صلاة الجماعة فشرع لهم صلاة الخوف، كما خفف عنهم في العدد الذي يلزم كل واحد منهم.

5- بيان بالأعمال التي يعملها المظلومون بعد النصر وهي: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتسبيح بحمد الله.

وأوصي ختاماً المسلمين بنصرة بعضهم بعضاً، وفي مقدمات هذه النصرة نصرتهم لإخواننا المسلمين في فلسطين ومساندتهم في تحرير الأقصى، كما لا ننسى إخواننا المستضعفين في دينهم في شتى البقاع فعلى المسلمين نصرة بعضهم البعض بالنفس والهال واللسان والدعاء كل بحسب قدرته واستطاعته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله. والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. 1984هـ. التحرير والتنوير المسمى بتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، بدون ط، الدار التونسية للنشر.
- 3- الألباني، محمد ناصر الدين. 1430هـ. السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، ط3، دار الصديق توزيع مؤسسة الريان.
- 4- البلخي، مقاتل بن سليمان. 1423هـ. تفسير مقاتل بن سليمان. ط1، إحياء التراث.
- 5- الثعلبي، أحمد بن محمد. 1422هـ. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط1، إحياء التراث.
- 6- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. 1390هـ. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، بدون ط، دار الفكر.
- 7- الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير. 1419هـ. تفسير القرآن العظيم، ط1، دار الكتب العلمية.
- 8- السمرقندي، نصر بن محمد. بحر العلوم. دار الفكر.
- 9- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. 1993م. الدر المنثور، بدون ط، دار الفكر.
- 10- العسكري، الحسن أبي هلال. الفروق اللغوية، بدون ط، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- 11- عمر، أحمد. 1429هـ. معجم اللغة العربية المعاصرة (ط1)، عالم الكتب.
- 12- الغرناطي، محمد بن أحمد بن محمد. 1403هـ. التسهيل لعلوم التنزيل، د. ط، دار الكتاب العربي.
- 13- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. 1384هـ. الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، ط2، دار الكتب المصرية.
- 14- المحاربي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية. 1422هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. دار الكتب العلمية، ط1.
- 15- المخزومي، مجاهد بن جبر. 1410هـ. تفسير مجاهد، دار الفكر الإسلامي الحديثة.
- 16- النسائي، أحمد بن شعيب. 1406هـ. المجتبى من السنن المسمى السنن الصغرى، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية.
- 17- 11.48، تاريخ 1445/4/21، <https://www.albaradouni.com/112>